السرطان والصراصير

اشرنا في مقتطف ابريل الى هذه المقالة ووعدنا بنشر خلاصتها في هذا الجزء ايجازاً لذلك نقول

لقد كثر داء السرطان في هذا العصر كثرة جعلت البعض يظنون انهُ داءٌ جديد. فقد أحصي عدد المتوفين به في البلاد الانكليزية سنة ١٩٢٢ فبلغ ٤٦٩٠٣ فهم اكثر من الذين توفوا بالسل بنحو ٥٠٠٠ . ويبلغ عدد قتلاهُ في الولايات المتحدة الاميركية سنوياً ١٠٠٠٠٠٠ . ثم ان اكثر الذين يموتون بالسل على انواعهِ اولاد وشبان اي ليسوا من الذين صار لهم شأن كبير في حياة الامة اما الذين يقتلهم السرطان فكهول في الاربعين وما فوقها اي من الذين صاروا في عنفوان قوتهم واختبارهم. وتدلُّ الآثار على ان السرطان من الامراض القديمة جداً وانهُ كان يصيب بعض الزحافات منذ ملايين من السنين. وقد اشير اليهِ في الدروج المصرية منذ اربعة آلاف سنة وكان اطباء اليونان يعالجون النواحي السرطانية بالقطع والكي ليمنعوا انتشارها . ولا شبهة في انهُ اذا كُشف السرطان في اول ظهورهِ واستئصل بمكين الجراح زال لانهُ داءٌ موضعي ولكن قلَّ من يصاب بهِ ويكتشفهُ في بدايتهِ ولذلك قلما يعلم بهِ الطبيب الاَّ بعد ما يصير شفاؤهُ متعذراً

ولا يزال العلم يخبط خبط عشواء في امر السرطان فانهُ يجهل سببهُ البعيد ولا يعرف دواءً يشفي منهُ

ان جسم الانسان مؤلف من خلايا عديدة تبتدئ بخلية واحدة يزيد عددها بالنمو والانقسام خليةً بعد خلية الى ان يبلغ حدهُ من النمو فيقف نموهُ حينئذٍ ويقتصر نمو الخلايا على التعويض عمَّا يندثر منها مفيدةً بمصلحة الجسم كلهِ

اما السرطان فيصيب بعض هذه الخلايا ويجعلها تكسر القيود التي تقيدها بالعمل العام فترتد الى حال النمو الاول وتتولد منها خلايا كثيرة يتراكم بعضها فوق بعض . ولا يعلم سبب ذلك وغاية ما يعرف من هذا القبيل ان بعض الخلايا تفك قيود الجسم وتنمو نموًّا غير طبيعي وهذا هو السرطان

واكثر اعضاء الجسم تعرُّضاً للسرطان المعدة ولكثرة حدوثهِ في المعرَّضين للقبض ظنَّ البعض ان القبض من اسبابهِ . ولو رافق القبض كل حادثة من حوادث السرطان

لكان في ذلك مندوحة للقول ان بينهما علاقة سببيَّة ولكن كثيرين يصابون بالقبض ولا يصابون بالسرطان . وقد يقع السرطان في الامعاء ولا يكون هناك قبض

وشاع منذ بضعة اشهر ان لنوع الطعام علاقةً بالسرطان وقال البعض ان الفضول تتراكم احيانًا في الجسم فتتولَّد منها سموم يمتصها الدم ويؤول الامر اخيرًا الى تولُّد السرطان . ونسب البعض تولده الى قلة الفيتامين في الطعام ونسبهُ غيرهم الى كثرة الفيتامين فيهِ . ومن رأي الاولين ان العمران قلل الحاجة الى مضغ الطعام ومزجهِ بما يكفي من اللعاب فعسر الهضم وصعب على الجسم التخلص من الفضول التي تتراكم فيهِ فمال الانسان الى الاطعمة التي يسهل هضمها وهي في الغالب قليلة الفيتامين فيقل الغذاء وتتحول بعض الخلايا وتصير سرطانية . وقال الآخرون ما قالوا معتمدين على كتاب الدكتور هندهيد الذي ظهر في العام الماضي وفيهِ ان السرطان اكثر انتشارًا في بلاد الدنمارك منهُ في غيرها واهلها اكثر الناس نهمًا ولما نشبت الحرب قلَّ اللحم عندهم فاقتصدوا فيهِ واقتصروا على الاطعمة النباتية ومن ثم قلت حوادث السرطان هناك. واهالي اسوج يقللون من الاطعمة اللحمية والوفيات بالسرطان منهم اقل منها من غيرهم ثلاثين في المائة . اي ان كثرة الفيتامين في الطعام تزيد نمو خلايا الجسم فيكسر بعضها قيودهُ وينمو نموًّا غير مقيَّد . الاَّ ان ما نتج في الدنمارك من قلة الطعام لم ينتج مثلهُ في انكلترا مع ان الطعام قل فيها زمن الحرب

والتعليل الذي ذكرهُ الاستاذ فرخو لتولُّد السرطان وهو زيادة التهيج او الاحتكاك هو اصح التعاليل المعروفة ولكنهُ لا يبين كيف ينتج السرطان من هذا التهيج او الاحتكاك. والمكتشفات الحديثة تدل على ان للسرطان جراثيم تولده فقد احدث بعض العلماء الاميركيين سرطانًا في الدجاج السليم بتطعيمهِ من خراج سرطاني من دجاج آخر فدلَّ ذلك على ان للسرطان اصلاً جرثوميًّا او مكروبيًّا ولو كانت جراثيمهُ او مكروباتهُ اصغر من ان ترى بالمكرسكوب

منذ اكثر من سنة تناول الدكتور لويس سمبون مسألة السرطان وكاد يزيح الستار عن حقيقتها . فقد قال منذ اواسط القرن الماضي ان الذي يحول دون اقامة الاوربيين في الاقاليم الحارة ليس اشتداد الحر فيها بل ما فيها من الحشرات الضارة . فقامت القيامة عليهِ لكنهُ قارعها بعزيمة صادقة ثم تأيد قولهُ بما فعلهُ الجنرال السر وليم غورغاس في بنما فتغلب على الملاريا والحمى الصفراء وصار فتح الترعة من الممكنات ودعا الدكتور

سمبون للاحتفال بفتحها وخاطبهُ امام الجمهور المحتشد حينئذٍ بقولهِ « انك قلت لنا منذ عشرين سنة ان الحشرات لا الشمس هي التي تجعل الاقاليم الحارة غير صالحة للسكنى ما من احد استطاع ان يصدقك حينئذٍ اما نحن قد اثبتنا انك كنت مصيباً فيما قلت » والدكتور سمبون هذا هو اول من قال ان ذبابة التسته هي التي تنقل العدوى بمرض النوم قال ذلك والناس يبحثون عن علة هذا المرض في قلب افريقية وهو جالس امام مكتبهِ في لندن تحيط بهِ الكتب والخرائط والرواميز ينفي علة بعد اخرى الى ان وقف عند العلة الحقيقية . ثم مرت تسع سنوات قبل ان تبينت صحة قولهِ

ولهُ اليد الطولى في اثبات علة الملاريا وان البعوض هو الناقل لها . وسنة ١٩٠٦ ارسل مقالة الى مجلة طبيَّة قال فيها ان النمل ينقل عدوى التيفوس فابى مدير المجلة نشرها حاسباً انها ليست مما يصدَّق لكن المقالة نشرت سنة ١٩٠٧ . وقد قال السرجس كنتلي حديثاً « يجب ان لا ننسى ان هذه المعرفة (اي كون النمل هو الذي ينقل التيفوس) هي التي مكنتنا من التغلب على التيفوس زمن الحرب »

لما صمم الدكتور سمبون على البحث عن علة السرطان سار في طريق لم يسر فيهِ احد قبلهُ اي انهُ بحث عن هذا الداء في البيوت التي يكثر حدوثهُ فيها وما يجاورها و يلابسها و يتصل بها فان من الاماكن ما تكثر فيهِ حوادث السرطان حتى تنسب اليهِ ففي بلاد الانكليز وادٍ يسمى وادي السرطان لكثرة حوادث السرطان في سكانهِ

ومنذ نصف قرن نشر الدكتور هقيلند خريطة البلاد الانكليزية ذكر فيها الاماكن التي يكثر حدوث السرطان فيها ويظهر منها ان السرطان اكثر انتشاراً في الاماكن الجنوبية والشرقية منهُ في غيرها . ومنذ خمس وعشرين سنة انتدب مجمع الطب البريطاني لجنة للبحث في هذا الموضوع فوجدت ان السرطان يكثر في الاماكن الواطئة الرطبة المجاورة للانهر ويقل في الاماكن العالية الجافة وظُن حينئذٍ ان لكثرة الرطوبة في طبقات الارض يداً في حدوث السرطان

عرف الدكتور سمبون كل ذلك فقصد ايطاليا للبحث فيها لانهُ لقي الدكتور عتي الايطالي وقت عيد بأمشور فاخبرهُ هذا بوجود رقعة يكثر السرطان في سكانها ومتوسط الوفيات بهِ فيها ثلاثة اضعاف متوسطها في سائر ايطاليا فاخذهُ الدكتور فنتوري الى بيت فيها اصيب فيهِ خمسة بالسرطان منذ عهد قريب . فتحص البيت فوجد انهُ قديم حسن

البناء سكانهُ من اواسط الناس وهم في سعة من العيش وغرفهُ واسعة نظيفة مطلقة الهواء ولا شيء يميزهُ عن سائر البيوت التي تمائلهُ ثم وجد كثيراً من الصراصير في غرفة منهُ ولدى البحث عن سبب كثرتها وجد في جوار البيت فرناً (مخبزاً) ملاصقاً للغرفتين اللتين وجد الصراصير فيهما واخبرتهُ صاحبة البيت ان الفرن تعج بالصراصير عجاً وبالفيران ايضاً وان الجرذان كثيرة هناك

من يقيم في مكان تكثر فيهِ الهوام والحشرات كالصراصير والخنافس والفيران والجرذان يألفها فيبطل اهتمامهُ بها اما الدكتور سمبون فنظر اليها كمن يبحث عن ضالتهِ فوجدها

ثم ذهب الى قرية أُخرى حيث وقعت خمس اصابات بالسرطان منذ عهد غير بعيد فوجد ضحاياً في بيت منها مات فيهِ ابوهُ وامهُ وجدهُ بسرطان المعدة . ووجد غرف البيت مملوءة باكياس القمح والدقيق واثار الفيران والصراصير في كل مكان . ودخل بيتاً آخر فوجد في صندوق الدقيق كثيراً من دود الدقيق والخنافس السوداء ولم يدخل بيتاً الاَّ وجد هذه الحشرات في الصندوق الذي يحفظ فيهِ الدقيق . وذهب الى قرية سان ميشل في التيرول الايطالي فوجد بالبحث والاستقراء ان كل حوادث السرطان التي حدثت فيها وقعت في شارع واحد مجاور لنهر هناك كانت المطاحن قائمة عليهِ ثم اقفلت الواحدة بعد الاخرى فقلت حوادث السرطان رويداً رويداً تبعاً لقلتها وزار بلدة على مقربة من وادي ادیج الجميل فاخبرهُ طبيبها ان حوادث السرطان التي حدثت هناك في السنوات الاربعين الاخيرة حدث اكثرها في شارع واحد وانهُ عالج كل اولئك المصابين وحدثت حوادث اخرى في الساحة التي ينتهي اليها ذلك الشارع ولم يكن الدكتور سمبون قادراً على استقصاء هذا الامر فوعدهُ رئيس اطباء ترنتينو باستقصائهِ وفعل فاذا الامر كما قال طبيب القرية . وحدوث هذه الاصابات كلها في شارع واحد يدل دلالة قاطعة على وجود شيء في ذلك الشارع لا يعمّ بقية القرية فلا يمكن ان يكون هذا الشيء طعاماً ولا اسلوباً من المعيشة بل هو شيء في البيئة او فيها يمكنها من الحشرات . وبعد بحث طويل قام بهِ هو والذين عاونوهُ من اطباء ايطاليا وفرنسا والدنمارك وصل الى نتيجة واحدة وهي ان حوادث السرطان تكثر حيث تكثر الجرذان والفيران والصراصير والخنافس ودود الدقيق . وسيأتي على تتمة هذا البحث في الجزء التالي